الأرملتان.. المتحرش

المشهد الأول:

- في محطة مترو السادات التاسعة صباحًا استوقفني صوت نسائي يردح بـ«الحيانى» كما يقولون. وقفت لأعرف نوع المشكلة، وإذ بسيدة بدينة، في العقد الخامس من عمرها، تضرب رجلاً في مثل عمرها بـ «الشبشب»!!

ومن باب الفضول أردت معرفة تفاصيل الحكاية؛ حتى أسجلها إن بدت مثيرة، فعرفت أن هذا «السَّئيل» حاول التحرش بها أثناء صعودها داخل المترو، مستغلاً بذلك حركة زحام الركاب في عمليتي: الخروج والدخول.

وحتى يكتمل المشهد، رأيت شابًا لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره يصفع المتحرش صفعة، كادت تطيح به خارج عربة المترو، بعد أن دخلها. علمت فيما بعد أن هذا الشاب ابن لتلك السيدة، عندئذ حاول المتحرش أن «يقفز» من العربة قبل أن يناله المزيد من الضرب والتجريح، لكنه لم ينجح إلا بعد 5 دقائق، هي المسافة بين محطتي السادات وسعد زغلول.

وخلال هذه الفترة الزمنية البسيطة نال المتحرش عددًا من الصفعات من بقية الركاب؛ ما يجعله يفكر ألف مرة ومرة قبل أن ينوي - مجرد النية - ارتكاب هذا

الفعل المشين مرة أخرى.

المشهد الثاني:

- لسيدة صغيرة السن تجلس وأمامها عربة أطفال، بداخلها طفلة صغيرة يبدو عليها الإرهاق، تسمع أغنية شعبية حزينة من هاتفها المحمول بعنوان «الدنيا ماشية بضهرها داست عليا».. هنا تتبادل مجموعة من النساء النظر إليها بصمت المتعاطفين، بينما تتحرك شابة صغيرة يبدو عليها حسن الحال معيشيًّا؛ لتخرج من حقيبتها قطعة بسكويت للطفلة.

تشكرها الأمّ الصغيرة بامتنان زائد، بعد أن قبلت طفلتها الهدية بابتسامة تساوي الدنيا وما فيها، وعندها تتشجّع إحدى السيدات (متوسطة العمر والحال) في سؤالها عن سر حزنها، فتردّ الأم الصغيرة قائلة:

- وإيه في الدنيا ما يتعبش بس يا ست الكل؟!

وتبدأ الأم الصغيرة في سرد مأساتها عن موت زوجها شابًّا بمرض مفاجئ في الصدر، جاء غالبًا نتيجة عمله في مصنع سيئ السمعة البيئية، وتلا موته حصارٌ تامّ من أسرته عليها كشرط لبقائها مع أولادها الثلاثة.

وتواصل الأم الصغيرة حديثها كيف أصبحت طَوالَ الوقت بموقف المتهمة و... والتهديد المفتوح بسحب الأطفال من حضنها.

لم تتدارك هذه الأم دموعها وهي تنظر إلى طفلتها الصغيرة، فتقول:

- وهو حدّ منهم يقدر ياخد باله منك لو أنا اتجوزت راجل تاني زي ما بيقولوا؟!.. وازاي بس اتجوز، والمرض الخبيث بياكل في جسمك أكل، ده انت يا ضي عيني خلاص قربتي تقابلي ربك، وتموتيني بعدك.

هنا أوقفتها سيدة كبيرة في العمر، لتوبّخها:

– ما تقوليش كده يا ابنتي. ادعي ربك لها، وان شاء الله تعالى البت دي هتعيش وتبقى عروسة.

يعود الحضور النسائي إلى تبادل النظرات بصمت؛ لينهض عدد من الأيادي النسائية الحنونة في الـ«طبطبة» على كتف ورأس الأم الصغيرة وابنتها المريضة.

المشهد الثالث:

– خمسينية تحكي قصتها بحزن عن حجود أبنائها، وتتحسر على عمرها الذي ضاع عليهم، وتسأل نفسها بصوت مرتفع:

– كيف مرّت بي السنون سريعًا لأربى أطفالي، وقد أصبحوا رجالاً ثم يتنكرون لي بهذا الشكل؟!

وهنا يتدخل سبعينيٌّ كان يجلس بالقرب منها، وتظهر على وجهه علامات الوقار والصلاح، ومن ملابسه يتضح مستوى ثقافته الرفيع وثرائه، فيقول لها:

– أستحلفك بالله يا ابنتي أن تستغفري ربك، وتحمديه وتشكريه على نعمته في نفسك وولدك.

نظرت إليه السيدة نظرة إكبار وإجلال، بعدما تَعرَّفا على بعضهما، حيث كان هذا العجوز مديرًا للمدرسة الثانوية التي تعمل بها تلك السيدة مدرسة لمادة اللغة الفرنسية، لحظتها نهض الرجل والسيدة من مكانهما، وتصافحا بطريقة أسعدت الركاب.. انتهى.